الحياة الاجتماعية لبكوات المماليك في مصر في القرن الثامن عشر

د . مرفت أسعد عطا الله

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

الحياة الاجتماعية لبكوات المماليك

فى مصر فى القرن الثامن عشر

دخلت مصر أجناس كثيرة من المماليك منهم اليونانى والجركسى والتركى والأرنؤدى والنمساوى والمجرى والكرواتى، ومن الأوربيين الذين خدموا أمراء المماليك، الإيطالى Vicenzo Tabernaمملوك على بك بلوط قبان (ت. صفر ١١٨٧/ مايو١٧٧٣) والذى كان وكيلاً له، ويجيد العربية والتركية. وهناك الكولونيل الإيطالى التمارا Altamare، وهو واحد من الضباط الرئيسيين لمراد بك (ت. فى ذى الحجة ١٢١٥/أبريل ١٨٠١)، والذى أصبح مدربًا فى جيش محمد على (١٨٠٥-١٨٤٨) فى الفترة من ١٨١٠ - ١٨١٢، وأيضا اليونانى بارثليميو سيرا Barthelemy Serra والذى كان رئيسًا للمدفعية فى بيت محمد بك الألفى(ت .عام ١٨٠٧/١٢٢١)، وقد كان خيَّالاً عظيمًا، يعرف اليونانية والإيطالية والعربية والتركية، وقد لقبه المصريون"فرط الرمان" وهى تورية لبارثليميو الرومى[١]. هذا وقد وردت إشارات لأعداد كبيرة من الروس فى البيوتات المملوكية،منها تقرير المدفعجى الانجليزى روبنسون Robinson، أحد مستخدمى محمد بك أبى الذهب (ت. ربيع الأخر ١١٨٩/ يونيو ١٧٧٥)، حيث ذكر أنه عند وفاة محمد بك أثناء حملته بسوريا، حين اقتحم خيمته ٢٥٠ مملوكًا من أصل روسى واستولوا على بعض من كنوزه وتركوا المعسكر[٢].

كذلك دخلت مصر مماليك من أديان مختلفة فمنهم المسيحى، واليهودى مثل الأمير يوسف بك المسلمانى (ت. ١١٢٠هـ/١٧٠٨ - ١٧٠٩) وأصله يهودى ثم أسلم، وكان من أمراء المماليك من ليس من الجنس الأبيض إطلاقا كإبراهيم كتخدا السنارى (ت. ١٢١٦ هـ ١٨٠١م) وأصله من دنقلة[٣].

وقد كان بعض المماليك فى سن المراهقة، حين انضموا للبيوتات المملوكية فى مصر، وهذا يعنى أنهم كانوا يدركون تمامًا من أين جُلبوا، كما كانوا يتذكرون من هم أقاربهم، وقد أبقى العديد من بكوات المماليك على مراسلة عائلاتهم،

فدعوا آبائهم وأخواتهم وأخوتهم ليقاسموهم حظهم السعيد فى مصر، بل وعينوا أخوتهم وأقاربهم الذكور فى مناصب هامة؛ فعلى سبيل المثال جُلب على بك إلى مصر وهو فى سن الثالثة عشر، وقد أرسل فى إحضار والده، وهو قس أرثوذكسى يونانى، وأخته إلى القاهرة، بل وعين ابن أخته ويدعى رضوان فى منصب البكوية[٤].

أما عن أعداد المماليك فى مصر فى القرن الثامن عشر فقد اختلفت فيها الآراء وإن كانت تلك الاختلافات طفيفة فيما بينها، ووفقاً لتقديرالرحالة فولنى Volney كان عدد بكوات المماليك فى عام ١٧٥٧، أربعة وعشرين مملوكاً[٥]،وقُدر عدد المقاتلة من المماليك عند مجىء الحملة الفرنسية ١٧٩٨، بين تسعة وعشرة آلاف[٦].

وقد قدر علماء الحملة سكان مصر ٢,٥ مليون نسمة[٧]،أى أن نسبة المحاربين من المماليك فى المجتمع المصرى حوالى ٠,٤٪ وهذا بخلاف النساء والأطفال.

وأصبح بكوات[٨] المماليك فى القرن الثامن عشر أرستقراطية عسكرية حاكمة، فتركزت السلطة المدنية والعسكرية فى أيديهم، وكان البك الأول يتولى وظيفة شيخ البلد، وله نفوذ واسع، كما صارت مشيخة البلد بمثابة إمارة مصر[٩]. أما المنصب الثانى فهو منصب أمير الحج[١٠]، والشخصية الثالثة فى الحكومة هوالدفتردار[١١]، وبعد هذه المناصب العليا يأتى البكوات حكام الأقاليم[١٢].

ولا يحمل البكوات أسماء عائلات، بل أسماء مثل؛ على أو إبراهيم أو عبدالله، ومع ذلك فعادة ما يكون هذا الاسم الصغير مسبوقًا أو متبوعًا بلقب أو اسم ثان. فكان محمد بك يلقب بأبى الذهب لأنه فى اليوم الذى حصل فيه على لقب بك خرج من قصره إلى القلعة ليلبس القفطان[١٣]، وراح ينثر الذهب بيديه طوال الطريق. وكان أمير الحج حسين بك (ت. ١١٨٢ - ١٧٦٨) يلقب كشكش

وهو لفظ يدل على المحبة والود فى اللهجة المصرية[١٤]، أما محمد بك (ت. ١٢٢١/ ١٨٠٧) فلقب بالألفى نظرًا لأن مراد بك قد اشتراه بألف أردب من الغلال[١٥]. ومن البكوات من دل لقبه على موطنه الأصلى مثل قاسم بك الموسقو (نسبة إلى الروس) (ت. ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م).

يعتبر المملوك عضوًا من أعضاء الأسرة، وعندما يرضى تاجر عن عبده يشركه فى تجارته ويزوجه من ابنته ويهيئ له حياة طيبة. أما أولئك الرقيق الذين يكونون فى خدمة بكوات المماليك فإن حظهم أكثر بريقًا حيث أن سادتهم يولونهم جل عنايتهم، ويهيئون لهم نوعًا من التدريب العسكرى ليشكلوا فيما بعد جيش المماليك[١٦]. فالسيد هو الذى يقرر أن مملوكه قد بلغ سن النضج، وأنه مستعد لتولى أحد المناصب، فيعتقه ويسمح له بأن يطلق لحيته[١٧].

وكان البك مسؤولاً عن ملبس وتسليح وركوبة مماليكه، وكان يتباهى بمظهرهم الجميل، وإذا ترك مماليكه يلبسون نفس الملابس لمدة سنتين متتاليتين فإنه يسقط من نظرهم؛ ففى عام ١٧٩٤ طلب مراد بك من التجار الفرنسيين أقمشة من الجوخ، ولما كانوا يعرفون من تجاربهم معه أنه يتأخر فى سداد الفواتير فقد تهربوا منه متذرعين بحجة أنه ليس لديهم ما يكفى من القماش، ولكن البك أصر بشدة وانطوى إصراره على التهديد فهو لا يريد أن يوصم بأنه لا يكسى مماليكه[١٨]، وفى عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م ، نزل مراد بك إلى دمياط وجعل عليها قدرًا من المال وألزم أهلها بدفعه، ولما رجع من دمياط وزع معظم ما جاء به من الأموال على مماليكه وأتباعه وخدمه[١٩].

وتتجلى قوة كل بك فى عدد رجاله وفى شجاعتهم لذا فهو يعنى بتقدمهم وثروتهم كما لو كانوا أبناءه، فمماليك مراد بك وحده كانوا أربعمائة، ومماليك إبراهيم بك (ت. ١٢٣١/ ١٨١٦) كانوا ستمائة، وقد أكثر على بك من شرائهم حتى بلغ عددهم عنده ستة آلاف[٢٠]، وفى حديثه مع تاجر من البندقية قال" هل لسلاطين الفرنجة أولاد يضاهون بالثروة ابنى محمد[٢١]؟!".

وكان المملوك، عن رضا وقبول، خانعاً وخاضعاً تماماً لسيده، ويقف أمام سيده ويداه مضمومتان إلى صدره، وعيناه مثبتتان على عينيه ليدرس أقل رغبات سيده حتى ينفذها قبل أن يعبّر سيده عنها، ولذا فإنه لا يستشعر مطلقًا الحاجة فى قطع قيوده، ويبقى هذا الخضوع قائماً حتى بعد أن يعتق المملوك، ويظل المعتوق نفسه محتفظاً لسيده السابق بالاحترام والولاء مما يصعب على أى رجل حر قبوله، ومع أن على بك رفع كثيرًا من مماليكه إلى مراتب البكوات والكشاف[٢٢]، فقد كانوا، عندما يأتون لزيارته، يظلون واقفين فى مظهر خانع، ولا يجلسون مطلقًا أمامه إلا إذا دعاهم لذلك، و كانوا يحرصون على ألا يجلسوا على نفس الأريكة التى يجلس عليها سيدهم القديم[٢٣]. وحتى إذا ما انقلب أحد المماليك على سيده السابق، فإن هذا لا يلغى كلية احترام المملوك لسيده، فعندما التقى على بك بمحمد بك أبى الذهب فى الصالحية(صفر ١١٧٨/ أبريل ١٧٧٣) وتحاربا وهزمت قوات على بك بينما أُصيب هو نفسه وحُمِلَ إلى مخيم محمد بك الذى"خرج إليه وتلقاه وقبل يده وحمله من تحت إبطه حتى أجلسه بصيوانه ... وحضروا إلى مصر وأنزل محمد بك أستاذه فى منزله ... و أجرى عليه الأطباء لمداواة جراحاته"[٢٤].

● **سمات المجتمع المملوكى:**

ارتباط بمصر واشتهار بالفروسية

كان المماليك يستشعرون فى قرارة أنفسهم أنهم من أبناء مصر وأنها وطنهم، ولعل هذا الشعور قد انتقل إلى مؤرخ العصر" الجبرتى" فأطلق عليهم "الأمراء المصرية"[٢٥]، والواقع أن بكوات المماليك كانوا أقرب إلى المصريين فى حياتهم وأعرف بشؤونهم من السلطات الأخرى[٢٦]. وكان أمراؤهم دائمًا يفضلون الإقامة فى مصر على أن يقبلوا ترقية فى أى مكان آخر، فمغادرة مصر بالنسبة لهم بمثابة الذهاب إلى المنفى، حتى فى الآستانة كان البك المملوكى يشعر أنه مقتلع من جذوره ووحيد[٢٧]، وكان بعض كبار المماليك يخضع لعاطفة أنه مصرى فى تصرفاته وفى تفكيره، فمن هؤلاء من صمد حتى الموت فى حملة نابليون Napoleon على مصر (١٧٩٨-١٨٠١) مثل أيوب بك الدفتردار (ت.

صفر ١٢١٣/ يوليه ١٧٩٨) فعندما وصل الفرنسيون امبابة؛ خرج أيوب بك قبل الموقعة بيومين وصار يقول" أنا بعت نفسى فى سبيل الله" وقبل الموقعة توضأ وصلى ركعتين ثم ركب فى مماليكه وحارب حتى قتل[٢٨].

وقد أجاد المماليك اللغتين التركية والعربية، وهذا ليس بالشىء الغريب فمعظمهم كانت مصر هى محل ميلاده، فضلاً عن أن صلتهم بالعلماء والمتصوفة حسَّنَتْ من لغتهم بشكل كبير[٢٩]، وعلى سبيل المثال كان الأمير صالح بك أمير الحج (ت. ١٢١٣/ ١٧٩٩) "فصيح اللسان يظن من يراه أنه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه"[٣٠].

وكان من أبرز صفات المماليك الشجاعة والفروسية خاصة، فقد كانت لهم فى ركوب الخيل والحرب عليها براعة فائقة ومقدرة لا يدانيهم فيها أحد، وشهد لهم بذلك علماء الحملة الفرنسية حين اعتبروهم" الفرسان الأُوَل فى العالم"[٣١]، أما فولنى فقال " أنك لا تراهم فى المدينة أو الحقل أو أثناء التزاور؛حتى من باب إلى باب إلا على ظهور الخيل"، كما ذكر أن تدرُّبَهم على استخدام الأسلحة هو شغلهم الشاغل طوال الحياة، حيث يخرج معظمهم صبيحة كل يوم إلى سهل حيال القاهرة، وهناك يطلقون أعنة الجياد ويتدربون، وسط تشجيع البكوات الحاضرين[٣٢]. وذكر الجبرتى عن الأمير عثمان ذى الفقار (ت. ١١٩٠/ ١٧٧٦) أنه فى "أواخر أيامه أُقْعِد، ولم يقدر على النهوض، فكانوا يحملونه لركوب الحصان، فإذا استوى راكبًا صار أقوى من الشاب الصحيح، ورمح وصفح وسابق".[٣٣]

● الاهتمام بأعمال البر وإنشاء المؤسسات الدينية

إذا ذكر المماليك تبادر إلى الأذهان صفات القسوة والغدر والجبروت والجهل، وإذا ذكرت أيامهم وحكمهم؛ اقترن بها ذكر الظلم والاستبداد والفوضى والشر. قال عنهم فولنى" ملكت فرقة الأرقاء الطغاة زمام الأمر فى مصر"[٣٤]، أما علماء الحملة الفرنسية فرأوا أنهم "توصلوا إلى قيادة شعب كبيرمع تقييده بسلاسل من خوف وسحقه تحت وطأة اسمهم المماليك"[٣٥].

ولكن هل كان المماليك كلهم قساة غادرين وجهلة؟ وهل كانت عهودهم كلها وأيامهم عهود ظلم واستبداد وفوضى؟ الحقيقة أننا نجد من المماليك من لم يكن قاسيًا ولا غادرًا ولا جاهلاً، كما نجد من عهودهم وأيامهم عهودًا كانت بعيدة إلى مدى غير قليل عن أوصاف الظلم والاستبداد والفوضى، وهذه شهادة أحد مؤرخى عصرهم؛ حين أشار إلى أنه كان فيهم كغيرهم؛ البَرُ والفاجر، وكان فى أيامهم كأيام غيرهم من الناس والحكام الشر والخير[٣٦] .

فمنهم من كان حريصًا على إحقاق الحق وإقامة العدل، فكان الأمير على بك "يتتبع المفسدين والذين يتداخلون فى القضايا والدعاوى، ويتحيلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات، وعاقبهم بالضرب الشديد، ولم يراع فى ذلك أحدًا، وألزم أرباب الأدراك، بحفظ نواحيهم، فأمنت السبل؛ بحيث أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلاً راكبًا أو ماشيًا ومعه حمل الدراهم والدنانير، ويبيت فى الغيط أو البرية آمنا مطمئنًا لا يرى مكروهًا أبدًا"[٣٧] .

أما الأمير محمد أغا (ت. ١٢٠٩/ ١٧٩٤) فقد تولى الحسبة" وسار فيها سيرا بشهامة، واتفق أنه وزن جانبا من اللحم وجده مع من اشتراه ناقصًا وأخبره عن جزاره فذهب إليه وكملها بقطعة من جسد الجزار"[٣٨] .

هذا وقد أقام الأمير عثمان بك ذو الفقار فى بيته "دواوين لحكومات العامة وإنصاف المظلوم من الظالم، وجعل لحكومات النساء ديوانًا خاصًا، ولا يجرى أحكامه إلا على مقتضى الشريعة، ولا يقبل الرشوة ويعاقب عليها، ومات كثيرًا من الأغنياء؛ فلم تطمح نفسه لشئ من أموالهم"[٣٩].

وحرص بعضهم على القيام بأعمال البر، فقد حرص إسماعيل بك ابن إيواظ (ت . ١١٣٦/ ١٧٢٤)، على إرسال غلال الحرمين الشريفين فى أوانها، ويرسل الذخائر والتموين إلى الموانئ؛ فيجعل فى ميناء السويس والمويلح والينبع (على الشاطئ الغربى لشبه جزيرة العرب) غلال سنة مقبلة فى الشون لشحن السفن،" ولما بلغ خبر موته لأهل الحرمين حزنوا عليه وصلوا عليه صلاة الغيبة عند الكعبة، وكذلك أهل المدينة صلوا عليه بين المنبر والمقام"[٤٠] .

أما الأمير عبد الرحمن كتخدا (ت. ١١٩٠/١٧٧٦) فقد "رتب للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة، فيأتون إلى داره أفواجًا فى أيام معلومة، ويعودون مسرورين بتلك الكساوى، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الإحرامات الطولونية يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء، وكذلك يفرق جملة من الحبر المحلاوى والبز الصعيدى والملايات والأخفاف والبوابيج[٤١]، على النساء الفقيرات والأرامل، ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الإفطار عدد من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقى بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين،ويفرق عليهم هبر اللحم النضيج ، فيعطى لكل فقير حصته فى يده، وعندما يفرغون من الأكل يعطى لكل واحد منهم رغيفين ونصفى فضة برسم سحوره إلى غير ذلك"[٤٢].

وكان إبراهيم بك أبو شنب(ت.عام ١١٣٠/١٧١٨) كثير الإحسان على الشحاتين فكان يعرفهم بالواحد، فإذا أعطى واحدًا منهم نصف فضة فى حى الصليبة ثم اتجه إلى حى الرميلة ووجد نفس الشحات الذى أحسن إليه فى الصليبة ينبهه إلى ذلك بقوله"قد أخذت نصيبك فى الصليبة"، ولذلك عندما سافر إبراهيم بك عام ١٦٩١م، على رأس جيش إلى كريت، سار فى ركابه شيخ الشحاتين مع طايفته وهم يصرخون ويقولون "الله يردك علينا يا بيك سالم لأنك أبو الفقرا"[٤٣].

وكان يوضع فى بيوت الأعيان" السماط فى وقتى العشاء والغداء مستطيلاً فى المكان الخارج، مبذولاً للناس ويجلس بصدره أمير المجلس وحوله الضيفان (الضيوف) ومن دونهم مماليكه وأتباعه، ويقف الفراشون فى وسطه يفرقون على الجالسين ويقربون إليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات، ولا يمنعون فى وقت الطعام من يريد الدخول، ويرون أن ذلك من المعايب، حتى أن بعض ذوى الحاجات عند الأمراء إذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام ودخلوا فلا يمنعهم الخدم فى ذلك الوقت فيدخل صاحب الحاجة ويأكل وينال غرضه من مخاطبة الأمير"[٤٤].

وكثيرًا ما أوقف أمراء المماليك أوقافًا للإنفاق على الفقراء والمساكين،أو المساجد والأضرحة والكتاتيب، أو على الحرمين الشريفين وفقرائهما، وتزخر سجلات المحاكم الشرعية بالعديد من هذه الوقفيات منها؛ أن الأمير عثمان أغا ابن عبد الله، تابع المرحوم إبراهيم أغا طائفة عزبان، قد أوقف جميع المرتب الذى قدره مائتان وخمسون عثمانيًا المقيد بدفتر متقاعدين عزبان، ورصد ذلك المرتب على الدوام على قراء القرآن الكريم، والفقراء والمساكين، وجميع الخيرات(٤٥) .

وعلى الجانب الآخر نجد كما يذكر فولنى أنه فى عام ١٧٨٤، لم يبلغ النيل الحد المواتى فعم القحط، حتى أصبحت الشوارع مزدحمة بهياكل منهوكة القوى، فكان هؤلاء التعساء يلفظون آخر أنفاسهم وهم مستلقون بظهورهم على منازل البكوات التى يعرفون أنها تزخر بالحنطة والأرز، وكثيرًا ما كان صراخهم يزعج المماليك فيطاردونهم بالعصى(٤٦) .

هذا وقد اشتهر عدد كبير من أمراء المماليك بإنشاء وترميم المؤسسات الدينية وعلى رأسهم الأمير عبد الرحمن كتخدا الذى سمى" صاحب الخيرات والعمائر فى مصر والشام والروم"، فعدد المساجد التى أنشأها وجددها ثمانية عشر مسجدًا، وذلك خلاف الزوايا والأسبلة والسقايات والمكاتب والأحواض والقناطر، ويذكر الجبرتى أنه لما مات" خرجوا بجنازته فى مشهد حافل حضره العلماء والأمراء والتجار ومؤذنو المساجد وأولاد المكاتب التى أنشأها ورتب لهم فيها الكساوى والمعاليم فى كل سنة"، ثم يعدد الجبرتى مساوئ الأمير، والتى منها قبول الرشاوى، والتحيل على مصادرة الأغنياء فى أموالهم، فضلاً عن سلاطة اللسان(٤٧) .

وقد اهتم الأمير مراد بعمارة جامع عمرو بن العاص، وكان ذلك بإرشاد الفقهاء، وصرف عليه أموالاً عظيمة،" أخذها من غير حلها ووضعها فى غير محلها"(٤٨) .

وأنشأ الأمير محمد بك أبو الذهب مدرسة تجاه الجامع الأزهر فى (شعبان ١١٨٨/ نوفمبر ١٧٧٤)،" وكان محلها رباع متخربة فاشتراها من أربابها وهدمها وأمر ببنائها، وجعل بها خزانة كتب عظيمة، ورتب للمدرسين الكبار فى كل يوم مائة وخمسين نصفًا فضة، ومن دونهم خمسون نصفًا، وكذلك للطلبة منهم من له عشرة أنصاف فى كل يوم، ومنهم من له أكثر وأقل، وبقدر عدد الدراهم أرادب من البُر فى كل سنة"[٤٩] .

ومن السمات الهامة للمجتمع المملوكى، احترام الأمراء الشديد للعلماء، فكان الشيخ على الصعيدى (ت. ١١٨٩/ ١٧٧٥) معاصرًا لعلى بك ومحمد بك أبى الذهب، وكانا يحترمانه كثيرًا حتى أنهما اعتادا تقبيل يديه ولا يرفضون له طلبًا[٥٠] .

ورغم أن الأمير مراد كان" ظالما غشوما متهورًا مختالاً معجبًا متكبرًا، إلا أنه كان يحب العلماء ويتأدب معهم وينصت لكلامهم ويقبل شفاعتهم"،[٥١] فى حين كان الأمير يوسف الكبير (ت. ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م) متعسفًا "خصوصًا مع طائفة الفقهاء والمتعممين لأمور نقمها عليهم"[٥٢] .

ومن السمات البارزة أيضًا فى المجتمع المملوكى؛ الغدر والخيانة، ولكن شذ عن هذه القاعدة بعض الأمراء، فالأمير إسماعيل بن إيواظ كان دائم الشكوى من محمد بك جركس (ت. فى رمضان ١١٤٢/أبريل ١٧٣٠) وأنه جامع عنده المفاسد ويريدون إثارة الفتن وحدث أن قبض على جركس وجىء به للأمير إسماعيل أسيرًا، فكساه وأكرمه، وأشار أتباع الأمير إسماعيل عليه بقتله فلم يوافق وقال: "أنه دخل إلى بيتى وحل فى زمامى فلا يصح أن أقتله"[٥٣].

هذا وقد لعب بعض الأمراء دورًا كبيرًا فى القضاء على المنكرات مثلما قام الأمير على أغا عام (١١٥١هـ- ١٧٣٨م)، حيث هجم على "الخمامير وأماكن الخطا وغيرها"[٥٤]. وأبطل الأمير عبد الرحمن كتخدا "خمامير حارة اليهود"[٥٥].

● الحياة الثقافية للمماليك

اتسمت الحياة الثقافية للمماليك بسمتين محددتين، الأولى مشاركتهم فى المجالس الأدبية" الصالونات" والثانى نزعتهم إلى اقتناء المكتبات الخاصة[٥٦].

فقد أقام الأمراء أمسيات ثقافية فى بيوتهم؛ مثل رضوان كتخدا الجلفى، حيث "قصده الشعراء ومدحوه بالقصائد والمقامات والتواشيح، وأعطاهم الجوائز، وداعب بعضهم بعضًا فكان يغرى هذا بهذا ويضحك منهم ويباسطهم واتخذ له جلساء وندماء منهم"[٥٧]. وقد كتب الشاعر مصطفى أسعد اللقيمى (ت. ١١٧٣ – ١٧٥٩) يصف قصرًا نمقه الأمير وهو المعروف بقصر الحلى فقال:

قصر له ببديع الحكم إتقان قد قام منه على الإبداع برهان
قصر تقاصر عنه قصر ذى يزن فما السدير وما أنشأه نعمان
قصر تسامى فإن شاهدت منظره فأرخنه حلا مزهيه رضوان[٥٨]

وتحدث الجبرتى عن اقتناء أمراء المماليك للمكتبات، فذكر أن" مجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة للإعارة، وانتفاع الطلبة، يشترونها بأغلى ثمن ويضعونها على الرفرف (الرفوف) والخزائن،.. فكل من دخل بيتهم من أهل العلم بقصد الإعارة أو المراجعة وجد بغيته... فى أى علم كان من العلوم... ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه فإن رده فى مكانه رده، وإن لم يرده... لا يُسأل عنه، وربما... اشتروه (نفس الكتاب) مرارًا ويعتذرون عن الجانى بضرورة الاحتياج"[٥٩].

والحقيقة أنه ليس كل من يملك تلك المكتبات من أمراء المماليك يقتنيها لمجرد الأبهة أو الشهرة، فلقد تحدث الجبرتى عن أمراء على درجة كبيرة من العلم والثقافة فتحدث عن الأمير إبراهيم كتخدا البركاوى (ت. ١١٩٨ – ١٧٨٣)، فقال عنه أنه" قرأ القرآن فى صغره وجود الخط وحُبب إليه العلم وأهله، واشترى المماليك ودربهم فى الآداب والقراءة وتجويد الخط... واقتنى كتبًا كثيرة جدًا فى كل فن وعلم حتى إن الكتاب المعدوم إذا احتيج إليه لا يوجد إلا عنده"[٦٠] .

فى حين كان الأمير يحيى كاشف الكبير(ت. ١٢١٥/ ١٨٠١)، كان "يحب الرسومات والنقوش والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات والكتب المشتملة على ذلك مثل كليلة ودمنة، والنوادر والأمثال"، بل أنه اهتم ببناء سبيل مجاور لداره فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس[٦١]، بينما كان الأمير سليمان بك

الأرمنى بارم ذيله (ت. ١٧١٨/١١٣٠) بارعًا فى ارتجال الشعر[٦٢] .

وهنا أمر جدير بالملاحظة، ويوضح إلى أى مدى كانت المكتبات مهمة جدًا لبعض الأمراء، ألا وهو نصيب تلك المكتبات من الدخل الكلى للبيت المملوكى، فعلى سبيل المثال امتلك الأمير أحمد بك" مير لواء" عام ١١٣٧/ ١٧٢٤ كتبًا تساوى ٣٧,٧٨٣ نصفًا بينما كان دخل بيته ١٠١,١٨٨ نصفًا، وبمعنى آخر أكثر من ثلث أموال بيته[٦٣].

● **أبهة وثراء فى المجتمع المملوكى**

عاش المماليك طبقة تكاد تكون منفصلة عن سائر طبقات المجتمع، حيث تميزت بمستوى اقتصادى مرتفع؛ الأمر الذى ينعكس على جوانب حياتهم وتفصح عنه أزياؤهم وتدل عليه قصورهم وحاشيتهم [٦٤] .

وقد أكد أحد الكتبة الأقباط الذين يعملون لدى مراد بك أن سيده يمتلك أربعة آلاف قرية مزروعة[٦٥]، ولكن هذا الرقم مبالغ فيه إلى حد كبير إذا ما قورن بعدد قرى مصر آنذاك؛ والذى بلغ طبقًا لتعداد علماء الحملة الفرنسية٣٦٠٠ قرية[٦٦].

وحين هرب على بك بعد أن خذله أنصاره إلى الشام، أخذ معه من الأموال ثمانمائة ألف محبوب ذهبًا يحملها على خمسة وعشرين جملاً، ونقل أيضا معه من المصوغ والحلى ما قدرت قيمته بمبلغ ثلاثة ملايين محبوب ذهب [٦٧] .

- **المظهر**

اهتم المماليك اهتمامًا شديدًا بالأسلحة المزينة، فسلاحهم الأول قرابينة إنجليزية تطلق عشر رصاصات فى وقت واحد، ويحملون فى وسطهم المسدسات، ومن حمالة فى جانبهم الأيمن يتدلى سيف معقوف قلما يوجد له نظير فى أوربا آنذاك، ويجلب المملوك العادى السيوف من الآستانة وأوربا، أما البكوات فيتنافسون للحصول على السيوف من المصانع القديمة فى دمشق حيث يبلغ ثمن السيف الواحد أربعين أو خمسين ليرة فرنسية ذهبًا[٦٨]، وقد أنفق على بك خمسة وعشرين ألف ليرة ثمنًا لقبضة خنجر[٦٩] .

ويظفر المملوك بأكثر مما يظفر به جندى على مدى التاريخ، فكانت تكاليف المملوك الواحد لا تنقص عن ألفين وخمسمائة ليرة وقد يتكلف بعضهم ضعفى هذه القيمة، فكلما حل رمضان جئ بأثواب جدد من أجواخ فرنسا وأنسجة البندقية وأقمشة دمشق أو الهند، وكثيرًا ما تستبدل الجياد والأسرجة والغدارات والسيوف والرُكُب المذهبة واللجامات المفضضة. أما كبار المماليك فيُخصون بالحلى والحجارة الكريمة والجياد العربية (ثمن الواحد يتراوح بين مائتين وثلاثمائة ليرة فرنسية)، وفروات عديدة أبخسها ثمنًا يساوى خمسمائة ليرة.[٧٠].

- **المسكن:**

فضلت النخبة الحاكمة العزلة عن الرعية،حيث كانت بحاجة إلى مساحات واسعة لإقامة مقار إقامة رحبة،حيث كانت الأنشطة الاقتصادية فى القاهرة عامل طرد للأرستقراطية. فقد أبدى الألفى نفورًا تجاه المدينة وسكانها، إذ كان يعاف المرور وسط الأسواق كى لا يتيح الفرصة لأصحاب الحوانيت والمارة أن يتفرجوا عليه[٧١].

فتجمعت الأرستقراطية الحاكمة فى ضاحية جنوب القاهرة حول القلعة حيث كان يوجد مركز السلطة،وحول بركة الفيل[٧٢] التى كانت تفيض خلال فيضان النيل [٧٣]، كما كانت الجيزة مكانًا مفضلاً للاصطياف بسبب هدوئها وعزلتها وجمال مناظرها الريفية، فقد شيد الأمير إسماعيل بك الكبير (ت. فى رجب ١٢٠٥/مارس ١٧٩١) مقصورة فيها[٧٤].

وفى أوائل القرن الثامن عشر تحول عدد من الأمراء إلى بركة الأزبكية الأنيقة[٧٥]، ومنذ ذلك الوقت،وجدت ليالى الأزبكية التى ألهمت الكتاب والشعراء، فذكر الجبرتى أن بركة الأزبكية اشتهرت بالدور والمبانى العظيمة والقصور المطلة عليها وقد كانت "مغنى صبابات" و"مواطن أنس ونزاهات"[٧٦].

وقال فيها الشيخ حسن العطار (ت. ١٨٣٥):

بالأزبكية طابت لى مسرات ولذ لى من بديع العيش أوقات

حيث المياه بها والفلك سابحة كأنها الزهر تحويها السموات[٧٧]

سكن أمراء المماليك فى أجمل الأبنية وأبهظها ثمنًا، فقد بنى الأمير عبد الرحمن كتخدا قصرًا عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م يشغل مساحة قدرها فدانان ونصف أى ١٠,٥٠٠متـرًا مـربعًا وكانت تكلفة بناءه مـرتبطة بضخـامة مساحـته،إذ دفع الأمير ١,٦٠٠,٠٠بارة لبنائه[٧٨]. ويعطينا الجبرتى مثالاً يصعب على الباحث تصديقه أو إقراره للتكاليف الباهظة لبناء قصور أمراء المماليك، حيث يذكر أن الأمير يوسف الكبير" كان يبنى الجهة (من الدار) حتى يتمها بعد تبليطها وترخيمها بالرخام الدقى الخردة المحكم الصنعة والسقوف والأخشاب والرواشن (النوافذ) والخرط والأدهان، ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها إلى آخرها ويبنيها ثانيًا على وضع آخر وهكذا كان دأبه"[٧٩].

وكانت تلك القصور وحدات شبه مستقلة ذاتيًا، بمعنى أن كل ما كان المرء يحتاجه فى حياته اليومية موجود فيها: حمامات، وآبار، وطواحين، وأماكن للصلاة، بحيث يمكن الاستغناء عن الخدمات العامة بل وحتى عن أسواق المدينة، فكان يمكن مثلاً شراء القمح بالجملة فى موسم الحصاد، إذ يتوفر فى القصر المكان اللازم لحفظه وذلك فى الحواصل، كما كان يتم طحنه فى الطاحون الذى يوجد فى العديد من القصور، وكانت توجد فى بعض القصور أيضًا غرفة خاصة" قاعة عجين"لإعداد الخبز قبل خبزه فى الفرن[٨٠].

كما كانت هذه القصور قلاعًا حقيقية بأسوار منيعة وأبواب مسلحة بالحديد، وأثناء الحروب الأهلية الكثيرة تحملت الحصار وكثيرًا ما كانوا يلجأون إلى إحضار مدفع لفتح ثغرة فى جدار قصر عدوهم[٨١].

وبالإضافة إلى القصور التى كان يملكها البكوات فى القاهرة،كانت لهم أيضًا بيوت ريفية للنزهة، فكان هناك قصرًا لإبراهيم بك على الضفة اليمنى للنيل فى مواجهة جزيرة الروضة، وكان هذا القصر كبير جدا وجيد التهوية حتى أن

السلطات العسكرية الفرنسية أنشأت فيه مستشفى يتسع لأربعمائة مريض[٨٢].

كما كان لكل أمير بيتًا أو بيتان صغيران يحتفظ بمكانهما سرًا، إذ كان يدع فيهما – فى أوقات الأزمات الخطيرة – ثرواته النفيسة، تاركًا بيته الرئيسى شبه خاليًا[٨٣].

واهتم بعض الأمراء بإنشاء البساتين التى أسهب الجبرتى فى وصف غرابتها وعجبها، كما هو الحال فى البستان الذى أنشأه الأمير قاسم بك أبو سيف (ت. فى ذى القعدة ١٢١٦/ مارس ١٨٠٢) الذى" يسرح فيه النظر من سائر جهاته وتنشرح النفوس فى أرجائه وساحاته"، وقد ذكر الأمير للجبرتى "أنه أنشأ بستانًا بناحية قبلى أعجب وأغرب من ذلك"[٨٤].

وكما اهتم أمراء المماليك بقصورهم وأنفقوا عليها ببذخ شديد،فعلوا نفس الشئ بقبورهم،والتى تتضاءل أمام عمارتها عمارة المساجد والقصور،حيث تصنع العواميد وشواهد القبور من الرخام الأبيض،ورسمت نقوش المقابر بعناية وتغطيها أوراق مذهبة مما يعطيها مشهدا بديعا. وتعتبر تلك المقابر فى الواقع مساجد صغيرة،وهى محاطة بسور ويدفن فيها عبيد الأسرة وخدمها،أما السادة فيدفنون تحت القبة[٨٥].

● الاحتفالات

تميزت احتفالات المماليك بالبذخ الشديد والمبالغة فى الفخامة لاسيما حفلات الزواج والتى تمتد أيامًا طويلة. ففى عام ١١٧٤/١٧٦١، احتفل على بك بزواج أحد مماليكه، فأقام له حفلاً عظيمًا احتفل به ببركة الفيل، وأسهب الجبرتى فى وصف ذلك العرس، فمما ذكره:" وكان ذلك فى أيام النيل فعملوا على معظم البركة أخشابًا مركبة على وجه الماء يمشى عليها الناس للفرجة واجتمع بها أرباب الملاهى والملاعيب وبهلوان الحبل، والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف، وعلقوا القناديل على جميع البيوت المحيطة بالبركة، وفى كل بيت.. ولائم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات، واستمر هذا الفرح مدة شهر

كامل والبلد مفتحة والناس تغدو وتروح ليلاً ونهارًا للحظ والفرجة، ووردت على "على بك" الهدايا من إخوانه الأمراء والأعيان، وبعد تمام الشهر زفت العروس فى موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعيب والبهلوانات والجنك والطبول والعروس فى عربة"(٨٦).

وكذلك كانت حفلات الختان ينفق عليها ببذخ شديد،فقد وصف القنصل الفرنسى Maillet عام ١٦٩٦، حفل ختان لابن أحد أمراء المماليك،فذكر أنه كان رائعًا واستمر عشرة أيام، وأجريت خلاله مسابقات للخيل والحيوانات، وتم إحضار الراقصين من دمشق، وتم فيه كسوة العبيد، وارتدى الصبى كسوة من القماش البندقى المطعم بالذهب وغطاء الرأس به ورود، كما بدل ملابسه أربع مرات، وتم ختان عدد كبير من العبيد فى هذا الحفل، وقد أحصى "ميليه" عدد المصابيح التى تم إنارتها فوجد أنها تزيد عن ألف مصباح(٨٧).

واحتفل المماليك أيضًا بالمناسبات الدينية،فكان يتم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى الأزبكية حيث يقيم بعض الأمراء الولائم مثلما فعل مراد بك عام ١٢٠٦/ أكتوبر - نوفمبر ١٧٩١(٨٨).

وفى أيام أول رجب وليلة الإسراء والمعراج والنصف من شعبان ولياالى رمضان والأعياد وعاشوراء، كانوا "يطبخون... الأرز باللبن... ويملأون من ذلك قصاعًا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين، ويجتمع فى كل بيت الكثير من الفقراء فيفرقون عليهم الخبز ويأكلون حتى يشبعوا، ويعطونهم بعد ذلك دراهم، وذلك خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية والشريك على المدافن فى الجمع والمواسم"(٨٩).

وحرص أمراء المماليك على المشاركة فى الحفلات الرسمية كتعيين الولاة الجدد فكانوا يقيمون المآدب والولائم(٩٠).

ومما يجدر ذكره أنه كانت توجد فى بيوت بعض البكوات فرقة موسيقية، وكان البك ينزل مهرجه نفس المنزلة التى ينزلها لطبيبه. وهنا كان البكوات

يقلدون الباشوات الأتراك. وكان مهرج مراد بك يدعى قاسم مسالى،وفى أحد الأيام أراد مراد بك أن يسخر من قنصل فرنسا مجالون Magallon، فأمر هذا المهرج أن يستقبل مترجم القنصلية الذى جاء ليبحث معه شخصيًا مسألة مهمة[٩١].

وعلى أية حال، فلم يكن جميع أمراء المماليك على قدر كبير من الثراء، فكان بعضهم عكس ذلك تماما مثل الأمير حسين بك المعروف بأبى يدك (ت . ١١٣١/ ١٧١٩) "كان قليل المال"[٩٢].

● المرأة فى المجتمع المملوكى :

عاشت نساء المماليك حياة ترفل بالثراء والأبهة والرفاهية،تحيط بها جمهرة من الإماء شديدات الانتباه،لحد يتنبأن معه بما قد يجول فى إرادتها حتى يوفرن عليها حركة الإشارة من إصبعها[٩٣].

وقد كانت الأزياء والملابس من أبرز مظاهر الثراء لنساء المماليك،فقد صنعت هذه الأزياء من الأقمشة الفاخرة وطرزت بخيوط الذهب والفضة،كما استخدم معها الأحجار الكريمة، كما ازدانت الأحذية بالمجوهرات وطرزت بالسلوك الذهبية والفضية،[٩٤] حتى أن «ميليه» ذكر إن تكاليف ملابسهن تفوق ملابس المرأة فى فرنسا ثلاث مرات أو أضعاف[٩٥]. ولا يظهرن إلا وقد وضعن حول جيدهن القلائد والعقود ذات الأشكال والأطوال المختلفة، وتدلى من آذانهن أقراط الماس المتوهجة وأثقلت أذرعهن بالعديد من أشكال الأساور، وطوقت أذرعهن من أعلى بعضادة عريضة مزينة بالفصوص وحلت أصابعهن العشر بالخواتم ذات الفصوص المختلفة[٩٦]، كما زين شعرهن المصفف فى عدد كبير من الضفائر،بالماسات والمجوهرات والحلى والنقود الذهبية[٩٧].

كما اهتممن باستخدام أنواع الزينة المختلفة من مساحيق وألوان، واقتنت كل سيدة زوج من المكاحل، التى صنعت من الذهب الخالص المرصع بالأحجار،[٩٨] وتعشقن فى أنواع الطيب وأسرفن فى استخدامه، فكانت القصور تعبق بشذى

عطور النساء،وكانت مواكبهن تعبق بطيب ريحها الطرقات قبل رؤية الموكب،وكان يرش العطر وماء الورد على العروس وعلى رفيقاتها أثناء الزفاف وهن يسرن فى الموكب[٩٩]، أما قاعاتهن الخاصة فقد تألقت بالذهب واللازورد، وزينت بالسجاد العجمى والطنافس الموشاة بالذهب والفضة، وكسيت الأسقف والجدران بالكثير من اللوحات الفنية[١٠٠].

ويخصص لجناح السيدات الجزء العلوى من المنزل،ولا يمكن لأبواب هذا المكان المحرم أن تفتح مطلقًا لرجل بخلاف الطبيب أو الكاتب[١٠١]. والطبيب ليس بإمكانه أن يرى مريضاته إلا فى حضرة الإماء، بل إن النساء – حتى فى هذه الحالة – لا يخلعن نقابهن. أما الكاتب فلا يدخل مطلقًا الحجرة التى تشغلها سيدته فيبقى فى الحجرة المجاورة ويُفتح باب اتصال بين الحجرتين ويكتب هو حسب الأوامر التى تملى عليه بواسطة المباشرة[١٠٢].

وعندما يصعد الزوج إلى حجرة زوجته فإنه يعلن ذلك مسبقًا، ولا يظهر مطلقًا إذا كان بالحريم غريبات، وتراعى الزوجة أن تبعد عن ناظره الإماء اللاتى يمكن لجمالهن أن يغويه، ومع ذلك فإنه إذا ما لمح واحدة منهن ونالت إعجابه وأبدى الرغبة فى أن يبقى وحده معها فإن زوجته تبدى الكثير من التلطف بل وتنسحب من الحجرة، فلكى تحتفظ زوجات البكوات بالسطوة على أزواجهن فإنهن يقدمن لهم تضحيات من هذا النوع، مثلما كانت تفعل زوجة مراد بك. وإذا ما كانت الزوجة مدققة فى مثل هذه الأمور فإن الزوج لا يجرؤ أن يسمح لنفسه بالتصرف بحرية مع الإماء، ويقال أن إبراهيم بك، قد ضبطته زوجته ذات يوم مع واحدة من إمائها فضربته بقسوة وهى تصب عليه شتائمها، ويقال أنها كانت تأمر بإغراق أو دس السم لأى واحدة من إمائها تشك فى أن لها علاقة بزوجها[١٠٣].

وتلقب المرأة بست أو هانم أو باسم ابنها، وكانت تربية الأطفال هى واجبهن الأول[١٠٤]. وكان لنساء المماليك عادات خاطئة فى تربية الأطفال أدت إلى ارتفاع نسبة وفيات أطفالهن، حيث حرصن على تنشئة أولادهن فى مكان مغلق لا

يجدد فيه الهواء، ولا يحصل الطفل على تغذية سوى اللبن، كما حرصن على أن يرتدى الأطفال ملابس ثقيلة فى الصيف،فذبلت صحتهم وعلت الصفرة وجوههم لأنهم يعيشون فى أجواء مغلقة غير صحية[١٠٥].

كانت نساء المماليك تخرج للتنزه تحت حراسة الخصيان، فخرجن للتنزه على شاطئ النيل، حيث تحتوى عواماتهن على غرف جميلة،طليت بألوان رائعة وتتسم بالزخرفة الشديدة،وغطيت نوافذها بالمشربيات التى ينبعث من خلالها أصوات الموسيقى، كما كن يتنزهن تحت ظلال أشجار البرتقال، كما تبادلن الزيارات فيما بينهن[١٠٦]. وفى المناسبات كن يخرجن للتنزه، فقد ذكر الجبرتى أنه "فى أول الخماسين الواقع فى شهر رجب ١١٣٥ / أبريل ١٧٢٣، طلع الناس لاستنشاق النسيم إلى ناحية الأزبكية؛ وجميع من كان هناك من النساء الأكابر" وكانت بصحبتهن آمنة الجنكية[١٠٧]، وعندما لا يستطعن الخروج، كن يصعدن عند غروب الشمس إلى السطح ويستنشقن الهواء بين الأزهار التى يُحتفظ بها فى هذا المكان بعناية، وعادة ما يستحممن هناك أيضا، فيستمتعن فى وقت واحد ببرودة الماء وأريج النباتات العطرية والهواء النقى وبمنظر آلاف النجوم التى تلمع فى السماء. أو أن يقمن بتطريز الفساتين[١٠٨]، أو يستمعن إلى المغنيات كما يحدث فى ليالى رمضان[١٠٩].

إن قليل من نساء المماليك من يعرفن القراءة والكتابة[١١٠]، وقد استخدم البعض شيخة لتزور الحريم يوميا فتعلم بناتهن وجواريهن إقامة الصلاة وتلاوة بعضاً من سور القرآن الكريم[١١١].

ولم يكن دور النساء مقصورًا على الحريم والتنزه والزيارات، بل كان لبعضهن دوًرا مؤثرًا فى المجتمع المملوكى. فعلى سبيل المثال: كانت الست نفيسة زوجة على بك، ثم زوجة مراد بك، وهذا هو السر فى اشتهارها باسم "نفيسة المرادية" أعظم شخصية ظهرت بين سيدات مصر آنذاك، فقد اكتسبت احترام المماليك فلقبت "أم المماليك"، وكانوا يتشرفون بزيارتها كلما تولوا منصبًا من المناصب لتزودهم بالنصائح قائلة" إياكم واغتصاب حقوق الشعب، فإن زوجى (على بك)

كان دائمًا يرعاها حق رعايتها"[١١٢]. وقال عنها الجبرتى:"فإنها كانت من الخيّرات،ولها على الفقراء بر وإحسان"[١١٣]. ولما دخل الفرنسيون القاهرة، لم تفر مع زوجها مراد بك إلى الصعيد،وبقيت فى قصرها باسطة حمايتها على كثير من نساء المماليك المنكوبين، من ذلك أنه لجأت إليها زوجة أحد المماليك وذكرت أنه كان بمنزلها حوائج كوديعة لامرأة زوجة لمملوك آخر، وأن البيت قد وضع الفرنسيون يدهم عليه،"فشفعت الست نفيسة فى تعلقات امرأة المملوك عند سارى العسكر بليار فقبل شفاعتها"[١١٤]، ودفعت كثيرًا من المغارم التى فرضها الفرنسيون على المصريين ولم يستطع كثيرون منهم دفعها[١١٥].

ومن السيدات اللائى ذاع صيتهن،هانم بنت إيواظ، والتى تآمرت ضد محمد بك جركس انتقاًما لمقتل أخيها إسماعيل بن إيواظ، وذلك بتقديم مبالغ ضخمة من المال، ٥٠٠ كيس لعصبة إسماعيل، و٣٠٠ للباب العالى [١١٦]، ومن الأمور ذات الدلالة أن المصادر المعاصرة أطلقت على زوجيها الثانى والثالث لقب "زوج هانم" إشارة للمكانة التى يصل إليها من يتزوج هذه المرأة[١١٧].

بل وأكثر من ذلك فقد سمى أحد البيوتات المملوكية وهو البيت الجلفى باسم زوجة مؤسس البيت، فإسم الجلفية مشتق من اسم زوجة الكخيا[١١٨] حسن بلفية (ت . ١١٢٤- ١٧١٢)، وكانت ابنة ملتزم[١١٩] قرية سنجلف فى المنوفية، وتعرف بالست الجلفية، وعقب زواجه منها أصبح لقب الكخيا حسن نفسه هو الجلفى[١٢٠].

وقد كان لبعض نساء المماليك مكانة اقتصادية مميزة، حيث امتلكن ملكية ضخمة، فعلى سبيل المثال كانت ممتلكات شويكار قادن، أرملة إبراهيم كتخدا القازدغلى (ت. ١١٦٧- ١٧٥٤م)، تضاهى ممتلكات أغنى تجار عصرها[١٢١].

ويعد وقف زينب خاتون، معتوقة الأمير إسماعيل بك الكبير،من أضخم الوقفيات لسيدة من الطبقة الراقية فى القرن الثامن عشر،فقد أوقفت ملكية كبيرة شملت: ثلاث وكالات، حوش، مكان (يشمل إما منزل أو حانوت) فى خط

الناصرية (حى الكشاف)[١٢٢]، مخبز، حصة فى حانوت، بيت قهوة وثلاثة أماكن وحانوتين فى خط قوصون (على الضفة الشرقية لبركة الفيل) ،مع ملاحظة أن الأماكن التى تمتلكها تقع فى أرقى أحياء القاهرة[١٢٣].

ولم تكن تلك السيدات يمتلكن هذه الملكيات الضخمة فقط، بل كن يدرنها أيضا، فالعديد من نساء المماليك قمن بأعمال التجارة،حيث اشترين وبعن كما يفعل الرجال،واستطعن حماية ثروتهن، فذهبن إلى المحكمة من أجل ذلك. وكانت صكوك الشراء تحمل أحيانا ملاحظة أن عملية الشراء قد تمت من "مال الزوجة الخاص"، ولذلك لا يستطيع وكيلها أو زوجها، الإدعاء بأنه شريكًا لها بل وقاضت بعض النساء أزواجهن؛ إذا تخلفوا عن أداء الديون التى منحتها لهم الزوجات وكثيرًا ما ربحت النساء تلك القضايا[١٢٤].

وحصلت نساء المماليك على ثرواتهن من عدة طرق: إما من خلال الإرث أو الوقف وبالنسبة لهذا الأخير فإما أن تكون المرأة أحد المنتفعات من أحد الأوقاف، أو أن تكون ناظرة وقف حيث تشرف بذلك على كثير من الممتلكات والأموال، فضلاً عن المرتب المخصص لهذا المنصب[١٢٥]. هذا فضلاً عن الصداق الذى تحصل عليه المرأة فى حالة زواجها، وتزخر سجلات المحاكم الشرعية بالأمثلة على ذلك منها: أن الأمير إبراهيم أغا أصدق خديجة بنت عبدالله البيضاء على صداق قيمته خمسة عشر ألف نصف فضة[١٢٦]. ومن موارد الثروة أيضًا أن تكون المرأة ملتزمة[١٢٧].

الزواج فى المجتمع المملوكى :

كان المماليك لا يرغبون فى الزواج وتكوين أسرة[١٢٨]، فحياتهم قائمة على الصراع بين بعضهم البعض، ومن ثم يعتبر الزواج بالنسبة للمملوك نقطة ضعف حيث يستطيع خصمه أن يقبض على الزوجة أو الأولاد ويرغمه على قبول مالا يريد، ولذا كان المملوك يعيش واضعًا رأسه على كفيّه أى حياة مغامرة، والزواج يتطلب الاستقرار.

ومع ذلك كان من المألوف فى المجتمع المملوكى زواج المماليك من داخل مجموعتهم الاجتماعية الخاصة. ونلاحظ فى مجتمع المماليك أن عذرية الزوجة ليست بذات أهمية بالنسبة للزوج، وبالمثل عمرها، فالرجال تزوجوا نساء سبق لهن الزواج بل و أكبر منهم سنًا، وذلك إما لتعزيز العلاقات بين بيتين مملوكيين، أو للاستفادة من ثرواتهن، أما العذارى فكانوا يقومون بشرائهن واقتنائهن كمحظيات[١٢٩].

ومن المماليك من تزوج من مصريات، فذكر الجبرتى أن الأمير أحمد أفندى الروزنامجى[١٣٠] (ت ١١٠٢ - ١٦٩١)، وزوجته المصونة خديجة من أقارب المرحوم الوالد"[١٣١]، فى حين كان نساء المماليك يرغبن رغبة قوية فى الزواج من المماليك، فيقول الجبرتى: "نساء المماليك، يتنافسن فى الزواج من الألفية (مماليك محمد بك الألفى) وكن يقدمن لهم الكساوى ويؤثثن لهم البيوت،وينفقن النفقات الكثيرة ليسرن لهم الزواج منهن، وكان ذلك يثير الغيظ فى نفوس الأتراك فإن العظيم منهم كان إذا خطب أدنى امرأة ... فلا ترضى به وتعافه وتأنف قربه ... وذلك بخلاف ما إذا خطبها أسفل شخص من جنس المماليك أجابته فى الحال"[١٣٢]. فى حين كن يقبلن الزواج من المصريين فقد " تزوج التاجر جعفر من اثنتين من المعتوقات، عائشة خاتون وفتحية خاتون"[١٣٣].

وتتزوج نساء المماليك فى سن صغير، ويوكلن ولى أمرهن(أب، أخ، تاجر العبيد)[١٣٤]، والشئ الجدير بالملاحظة هو ما تستطيع المرأة إدراجه من شروط فى عقد الزواج، وكل ما يدرج يكون ملزمًا قانونيًا- طالما لا ينافى الشريعة - فتستطيع المرأة أن تشترط إذا تزوج عليها زوجها فيمكنها أن تطلقه،ومن حقها أن تشترط أن يكون زوجها ملزم باتباع تقاليد ونزعات البيت الذى تنتمى إليه،كما يمكنها أن تحدد كيفية زيارتها لأهلها وكيفية زيارة أهلها لها[١٣٥].

كان من المألوف أن يزوج زعيم البيت المملوكى ابنته أو أخته لأهم أتباعه، وهذا شبيهًا بما يفعله السلاطين العثمانيين، إذ كان السلطان يزوج ابنته لأحد الوزراء البارزين[١٣٦]. وأفضل مثال هو مااعتاده على بك من ترتيب زيجات بين

ذكور بيته البارزين ونساء من البيت نفسه، ففى عام ١٧٦٦م، زوّج أخته لمعتوقه محمد بك أبى الذهب[١٣٧]. وكان زعماء البيوتات المملوكية يتفاوضون فى مسائل زواج مماليكهم مثلما يفعل الأب لأبنائه، وقد ساهمت تلك الزيجات فى إيجاد علاقات وتحالفات بين تلك البيوتات.

فلقد صحب على بك اثنين من مماليكه، وزار خليل بك بلفية (ت. ١١٨٦-١٧٧٢) طالبًا يد أخته لأحد المملوكين، فوافق خليل، فطلب على بك يد أخت خليل الثانية لمملوكه الآخر، ولكن خليل رفض معللاً ذلك بعدم مقدرته المادية لزواج الاثنتين فى وقت واحد، فوعده على بك بمساعدته، فوافق خليل على الزيجتين[١٣٨]. وهنا تتضح تلك العلاقة الحميمة بين البك ومماليكه لدرجة أنه مستعد لتمويل زواجهم من جيبه الخاص.

وبالرغم من الامتيازات التى يهيئها للمماليك وجودهم بالقرب من البكوات،لم يكونوا ليتمتعوا بأى حق فى ميراثهم الذى يوزع على أبنائهم الشرعيين، صحيح أنه كان بمقدور السيد أن يخصص جزء من ثروته لصالح المملوك، إلا أنه لم يكن يبلغ أكثر من ثلث الثروة، وعلى العكس من ذلك فإن مات المعتوق دون ذرية فإن ثروته كلها تؤول إلى سيده القديم[١٣٩].

وخلاصة القول، فإن مؤرخى تاريخ مصر العثمانية قد اهتموا بالكتابة عن صراعات البيوتات المملوكية ونظم الحكم والإدارة، وعلاقتهم بالدولة العثمانية، وغيرها من الموضوعات، وأهملوا الكتابة فى الحياة الاجتماعية لتلك الفئة التى جاءت إلى مصر من عناصر شتى فى سن الطفولة، ونسيت ماضيها ومواطنها الأصلية، إلا ما ندر، وكذلك نسيت ثقافتها وحضارتها المسيحية، واعتنقت الإسلام، واندمجت فى الحضارة العربية الإسلامية متأثرة بها ومؤثرة فيها، ونجحت فى تكوين طبقة أرستقراطية حربية حاكمة رغم قلة عددها بالنسبة لعدد شعب مصر.

هذه التجربة التاريخية الفريدة لفئة بكوات المماليك تستحق منا التأمل.

الهوامش

(١) Crecelius ,Daniel ,"The Mamluk Beylicate of Egypt in the last decades before its destruction by Muhammad Ali Pasha in 1811",The Mamluks in Egyptian politics and society,edited by:Thomas Philipp and Ulrich Haarmann,(Cambridge university press,1998) p.p. 143-144.

(٢) Ibid, p.p. 138-139

(٣) محمود الشرقاوى، مصر فى القرن الثامن عشر، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو، ١٩٥٦، ص ١٦ .

(٤) Crecelius, op. cit., p.134

(٥) فولنى س. ف. ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام، نقلها إلى العربية إدوارد البستانى، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٤٩، ص ٨٢ .
وقد زار الرحالة الفرنسى فولنى مصر فى أوائل العقد الثامن من القرن الثامن عشر.
إلهام محمد على ذهنى، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢، ص ٧١ .

(٦) عبد الرحمن الرافعى، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول، الطبعة السادسة، دار المعارف،١٩٨٧، ص ٥٩ .

(٧) دى شابرول، ج.، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، موسوعة وصف مصر ترجمة زهير الشايب، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢.

(٨) بك: تعنى كبير أو ثرى، واستخدمت البكوية فى مصر العثمانية كرتبة لأمراء المماليك الصناجق. أنظر: ليلى عبد اللطيف، الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٨، ص ٤٤١ .

(٩) عمر عبد العزيز عمر، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ١٥١٧- ١٩٥٢، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢، ص ص ١٥٢- ١٥٣ .

(١٠) أمير الحج: هو البك المختص بالإشراف على سفر الحجاج والعودة بهم، وتأمين طريقهم وأرواحهم وأموالهم، وتوصيل الصرة (المال الذى كان يرسل سنويا من مصر لأهالى مكة والمدينة) إلى الحرمين الشريفين. انظر: ليلى عبد اللطيف، مرجع سابق، ص ٤٣٩،٤٤٩ .

(١١) الدفتردار: هو الشخص المسؤول عن الديوان الذى له الإشراف العام على مالية مصر. أنظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتى، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣ ، ص ٤١،هامش ١ .

(١٢) وصف مصر ج١ ص ١٨٦.

(١٣) إيذانًا بتولى مهام وظيفته.

(١٤) Dehérain , Henri, L'Egypte Turque:Pachas et Memeluks du XVIe au XVIIIe siècle L'expédition du Général Bonaparte",Gabriel Hanotaux,Histoire de la Nation Egyptienne,(Paris,1931),tome 5,p.67

(١٥) عبد الرحمن الجبرتى، مرجع سابق، ج ٧، ص ٤٧.

(١٦) وصف مصر ، ج ١، ص ٢٠٩ .

(١٧) فالوجه الأمرد خاص بالعبيد والنساء. أنظر:فولنى،المصدر السابق،ص ٨٢ .

(١٨) Dehérain , op. cit.,p.75

(١٩) إسماعيل بن سعد الخشاب، خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد، حققه وترجمه وعلق عليه حمزة عبد العزيز بدر و دانيال كريسيليوس، العربى للنشر والتوزيع،١٩٩٢ ، ص ص ٤١- ٤٢ .

(٢٠) محمود الشرقاوى، مرجع سابق،ج ٢،ص ١٥ .

(٢١) يقصد هنا مملوكه السابق محمد بك أبا الذهب. أنظر: فولنى، المصدر السابق، ص٨٩.

(٢٢) الكاشف: هو الموظف الذى يتولى إدارة كاشفية، وهى القسم الإدارى الأقل من الولاية، وقد وُجد فى مصر أربع وعشرون كاشفية. انظر: ليلى عبد اللطيف، مرجع سابق، ص٤٥٣.

(٢٣) وصف مصر ،ج ١، ص ص ٢١٠-٢١١ .

(٢٤) عبد الرحمن الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٢، ص ص ٥٩٠-٥٩١ .

(٢٥) محمود الشرقاوى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٥ .

(٢٦) محمود حلمى مصطفى،" الجبرتى ومعاصروه من أمراء المماليك من (١١٦٧-١٢٤٤/ ١٧٥٣-١٨٢٥)، عبد الرحمن الجبرتى: دراسات وبحوث، إشراف: أحمد عزت عبدالكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ٢٩٤ .

(٢٧) Winter,Michael, Egyptian society under Ottoman rule 1517- 1798 ,(London,New York:by Routledge,1992. p.76

(٢٨) محمود الشرقاوى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٦ .

(٢٩) Winter,op. cit. ,p. 73-74

(٣٠) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٥، ص ١١٣ .

(٣١) وصف مصر ،ج ١،ص ٢٨٧ .

(٣٢) فولنى، مرجع سابق ، ص ص ١١٢، ١١٦ .

(٣٣) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ٣١٢ .

(٣٤) فولنى، مرجع سابق، ص ٧٤ .

(٣٥) وصف مصر ،ج ١، ص ٣٥ .
(٣٦) محمود الشرقاوى، مرجع سابق، ج ٢، ص ص ٣، ٦ .
(٣٧) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٥٩٨ .
(٣٨) المرجع ذاته، ج ٤، ص ٣٩٤ .
(٣٩) المرجع ذاته، ج ١، ص ٣٠ .
(٤٠) المرجع ذاته، ج ١، ص ٢١١- ٢١٢ .
(٤١) نوع من الأحذية. أنظر: المرجع ذاته، ج ٣، ص ٩ .
(٤٢) المرجع ذاته، ج ٣، ص ص ٩-١٠ .
(٤٣) أحمد الدمرداشى كتخدا عزبان، الدرة المصانة فى أخبار الكنانة: فى أخبار ما وقع بمصر فى دولة المماليك من السناجق والكشاف والسبعة أوجاقات والدولة وعوايدهم والباشا إلى آخر سنة ثمان وستين ومائة وألف، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٨٩، ص ص ١٥- ١٦ .
(٤٤) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٣٣٩ .
(٤٥) محكمة الباب العالى، سجل ٢٦١،ص ١٢٣، وثيقة ١٦٤، بتاريخ ١٨ رجب ١١٧٦ / يناير ١٧٦٣ .
(٤٦) فولنى، مرجع سابق، ص ١٢٧ .
(٤٧) الجبرتى ، عجائب الآثار، ج ٣، ص ص ١٠- ١١ .
(٤٨) المرجع ذاته، ج ٥، ص ٢٧٤ .
(٤٩) المرجع ذاته، ج ٢، ص ص ٦٥٢- ٦٥٤ .
(٥٠) El-Shayyal ,Gamal El-Din," Some aspects of intellectual and social life in eighteenth-century Egypt", Political and social change in modern Egypt, historical studies from the Ottoman conquest to the United Arab Republic ,edited by, P. M. Holt, London: Oxford university press,1968 p.123
(٥١) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٥، ص ٢٧٥ .
(٥٢) المرجع ذاته، ج ٣، ص ٢٦ .
(٥٣) المرجع ذاته، ج١، ص ٢٠٥.
(٥٤) أحمد الدمرداشى، الدرة المصانة، ص ٦٨ .
(٥٥) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٦ .
(٥٦) Hanna,Nelly,"Cultural life in Mamluk households(late Ottoman period", The Mamluks in Egyptian politics and society,edited by:Thomas Philipp and Ulrich Haarmann, Cambridge university press,1998 p.197.

(٥٧) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٣٢٥ .
(٥٨) المرجع ذاته، ج ٢، ص ٣٨٦ .
(٥٩) المرجع ذاته، ج ٢، ص ٣٤٠ – ٣٤١ .
(٦٠) المرجع ذاته، ج ٣، ص ١٣١ .
(٦١) المرجع ذاته، ج ٥، ص ٢٨١ .
(٦٢) Hanna,Nelly, op. cit.,p.201
(٦٣) Ibid,p.198
(٦٤) حكمت أبو زيد،"المجتمع القاهرى على عهد الحملة الفرنسية كما صوره الجبرتى فى"، عبد الرحمن الجبرتى: دراسات وبحوث، مرجع سابق، ص ٣٤٤ .
(٦٥) إلهام ذهنى،مرجع سابق، ص ٢٧١ .
(٦٦) وصف مصر ،ج ١،ص ١٩ .
(٦٧) أنور زقلمة، المماليك فى مصر، مكتبة مدبولى، ١٩٩٥، ص ١٧٥ .
(٦٨) فولنى، مرجع سابق، ص ١١٥ .
(٦٩) المرجع ذاته، ص ٩ .
(٧٠) المرجع ذاته، ص ص ١٢٠– ١٢١ .
(٧١) أندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ترجمة: زهير الشايب، مكتبة مدبولى، (د.ت)، ص ٢٠٤ .
(٧٢) كانت تقع فيما بين مصر الفسطاط والقاهرة،وكانت تعتبر من ظواهر مدينة القاهرة. انظر: محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ص ١٠٥ .
(٧٣) أندريه ريمون، المصريون والفرنسيون فى القاهرة (١٧٩٨– ١٨٠١)، ترجمة: بشير السباعى، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١، ص٧٥.
(٧٤) أندريه ريمون،القاهرة:تاريخ حاضرة،ترجمة:لطيف فرج،الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص ٢٤٩ .
(٧٥) Raymond,André,"The Residential districts of Cairo's Elite in the Mamluk and Ottoman periods (fourteenth to eighteenth centuries)", The Mamluks in Egyptian politics and society,edited by:Thomas Philipp and Ulrich Haarmann,(Cambridge university press,1998)p.222.
ويمثل موضعها الآن حديقة الأزبكية وما حولها. انظر: الششتاوى، مرجع سابق، ص ١٤٩.
(٧٦) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٥، ص ١٦٢ .
(٧٧) إنشاء العالم العلامة الحبر الفهامة حسن العطار،الطبعة السادسة، المطبعة الكاستلية، ١٢٩٧/ ١٨٧٩ – ١٨٨٠، ص ٤٥ .

(٧٨) نللى حنا، بيوت القاهرة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، دراسة اجتماعية معمارية، ترجمة: حليم طوسون ، العربى للنشر والتوزيع، (د.ت) ص ٧١، ٧٥ .

(٧٩) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٦ .

(٨٠) نللى حنا، بيوت القاهرة، ص ٧٧ .

(٨١) Dehérain , op. cit.,p.84

(٨٢) Ibid,p. 86

(٨٣) أندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى، ص ص ١٨٩- ١٩٠ .

(٨٤) الجبرتى، عجائب الآثار، ج٥، ص ٣٤٦،٣٤٧ .

(٨٥) وصف مصر ، ج ١،ص ص ١٦٣- ١٦٤ .

(٨٦) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٢، ص ص ٤٠٧- ٤٠٨ .

(٨٧) إلهام ذهنى، مرجع سابق،ص ٣٢٧ .

(٨٨) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٤٥ .

(٨٩) المرجع ذاته، ج ٢، ص ٣٤٠ .

(٩٠) إلهام ذهنى، مرجع سابق، ص ٣١٨ .

(٩١) Dehérain , op. cit., p.8 3

(٩٢) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ١٩٧ .

(٩٣) وصف مصر ،ج ١،ص ٥٤ .

(٩٤) آمال المصرى، أزياء المرأة فى العصر العثمانى، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩،ص ٤٩ .

(٩٥) إلهام ذهنى، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

(٩٦) وصف مصر ، ج ١، ص ١٠١ .

(٩٧) المرجع السابق، ص ١٠٣ .

(٩٨) آمال المصرى، مرجع سابق،ص ١٢٧- ١٢٨ .

(٩٩) المرجع السابق، ص ص ١٣٠- ١٣١ .

(١٠٠) Dehérain , op. cit.,p.85

(١٠١) بمثابة موظف سكرتارية تستخدمه عادة نساء الطبقة العليا، وصف مصر ، ج ١، ص١٠٧ .

(١٠٢) أو الوكيلة: وهى سيدة تعمل فى خدمة ربة البيت ولكنها ليست من الإماء، المرجع السابق.

(١٠٣) وصف مصر ، ج ١، ص ص ١١١- ١١٢ .

(١٠٤) Savary ,M.,Lettres sur L'Egypte ,seconde edition,tome 1, Paris,1786, p.158.

(١٠٥) إلهام ذهنى، مرجع سابق، ص ٢٧٣ .

(١٠٦) Savary,op. cit. pp. 170- 171

(١٠٧) أى التى تضرب على العود. انظر: الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ١٠٨ .

(١٠٨) Savary, op. cit. pp. 170- 171

(١٠٩) وصف مصر ، ج ١، ص ١٨٠ .

(١١٠) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٦، ص ٤٦٤ .

(١١١) صلاح أحمد هريدى،التعليم فى مصر فى القرن الثامن عشر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩، ص ٥٥ .

(١١٢) محمد رفعت رمضان،على بك الكبير، دار الفكر العربى، (د. ت)، ص ص ٢٠٤- ٢٠٥ ، ٢٠٩ .

(١١٣) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٨، ص ٤١٠ .

(١١٤) إسماعيل بن سعد الخشاب، التاريخ المسلسل فى حوادث الزمان ووقايع الديوان (١٨٠٠- ١٨٠١)، تحقيق وتحليل وتعليق: محمد عفيفى وأندريه ريمون، تقديم: جون فرانسو كليمنت ، مع نبذة لماى جينيفيان جيدون، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ٢٠٠٣، ص ٢٦ .

(١١٥) محمود الشرقاوى، مصر فى القرن الثامن عشر،ص ١٦٨ .

(١١٦) Winter,op. cit.,p.71

(١١٧) Hathaway,Jane,The Politics of households in Ottoman Egypt:the rise of the Qazdaglis, Cambridge university press, 1997. p.116

(١١٨) تعنى الوكيل أو النائب. أنظر: أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، ١٩٧٩، ص ص ١٧٦- ١٧٧ .

(١١٩) الإلتزام: هو نظام يتكفل فيه من يشاء من الأمراء المماليك وغيرهم بتحصيل الضرائب المقررة على أراضى قرية أو أكثر أو أقل عن مدة معينة وذلك بناء على اتفاق بين هذا الشخص وبين الروزنامة نيابة عن الحكومة. أنظر:عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٤، ص ٧٤- ٧٥ .

(١٢٠) Hathaway,op.cit.,p113

(١٢١) Fay, Mary Ann,"Women and waqf: toward a reconsideration of women's place in the Mamluk household", International Journal of Middle East Studies,vol.29,no.1, (feb.,1997) p.47.

(١٢٢) ومكانها اليوم المنطقة التى يخترقها شارع ستى نصره، ويحدها من الشرق شارع محمد فريد، ومن الغرب شارع مصطفى كامل، ومن الجنوب شارع درب البندق، ومن الشمال شارع الشيخ ريحان. أنظر: الششتاوى، مرجع سابق، ص ١٣٦ .

(١٢٣) Fay,op. cit.,p.39 .

(١٢٤) Lutfi Al-Sayyid Marsot,Afaf,"Marriage in late eighteenth- century Egypt", The Mamluks in Egyptian politics and society, edited by:Thomas Philipp and Ulrich Haarmann, Cambridge university press,1998, p. 288

(١٢٥) Fay,op. cit.,p.42

(١٢٦) محكمة الباب العالى، سجل ١٩٢، ص ١٩٥، وثيقة ٢٦٠، بتاريخ ١٦ صفر ١١٢٣ أبريل ١٧١١م.

(١٢٧) دخلت المرأة ميدان الالتزام لأول مرة عام ١١٤٤/ ١٧٣٢م. أنظر: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصرى، ص ٩٥ .

(١٢٨) محمود الشرقاوى، مرجع سابق،ج ٢،ص ٤٩ .

(١٢٩) Lutfi, Al-Sayyid Marsot,op. cit.,pp.286-287

(١٣٠) هو رئيس ديوان الروزنامة، وهو ديوان مالى يجبى الضرائب، ويتولى الإنفاق على بعض جهات البر كتشغيل الكسوة الشريفة ونفقات قلاع الحجاز. أنظر: أحمد السعيد سليمان، مرجع سابق، ص ص ١١٧– ١١٨ .

(١٣١) الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٦٣ .

(١٣٢) المرجع ذاته، ج ٧، ص ٢٠٩ .

(١٣٣) Marsot,op. cit.,pp. 288

(١٣٤) Ibid,p.283

(١٣٥) Ibid,p.288

(٦٣١) Hathaway,op.cit.,p. 110

(١٣٧) Ibid,p. 113

(١٣٨) Marsot,op. cit.,pp. 283-284

(١٣٩) وصف مصر، ج ١، ص ٢١٠ .